المفاوضات السياسية واحتمالات السلام

د. محمد عبد العزيز ربيع

كان انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الاوسط، في أواخر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩١، بمثابة حدث تاريخي ادّى الى جمع العرب والاسرائيليين من اجل حلّ النزاع القائم في ما بينهما منذ ما يزيد عن اربعة عقود. الى جانب ذلك، شهد لقاء مدريد آخر حضور للاتحاد السوفياتي كقوة عظمى قبل دخوله آخر مراحل التفكّك والاندثار؛ اذ تبع ذلك، مباشرة، تفتّته الى دول تتنازعها الاحقاد، وتعاني من الانهيار الاقتصادي، وتعدّد المشاكل الاجتماعية، وغياب الرؤية المستقبلية.

لقد جاء اللقاء العربي ـ الاسرائيلي في ظل ظروف اقليمية ودولية غير عادية، أجبرت الاطراف المشاركة كافة على الدخول في عملية التفاوض رغماً عن ارادتها وبناء على شروط لم تكن ترغب في المشاركة على أساسها. اذ لولا التدخل الاميركي المباشر وغياب الوجود السوفياتي الفاعل من جهة، وتزايد اعتماد الاطراف المتنازعة على الولايات المتحدة الاميركية من جهة اخرى، لما وافق الطرفان، العربي والاسرائيلي، على الالتقاء والتفاوض في ظل موازين القوى الاقليمية القائمة. ولقد تميّزت تلك الظروف بتزايد ضعف الموقف العربي وتشتّته في أعقاب حرب الخليج، واختفاء القوة السوفياتية، وانفراد الولايات المتحدة الاميركية في زعامة العالم، وتزايد قوة اسرائيل النسبية في مواجهة القوة العربية.

لقد أسفرت حرب الخليج عن نتائج خطيرة منها: تدمير القاعدة الاقتصادية والقوة العسكرية الضاربة للعراق، وانهيار النظام الاقليمي العربي، وتعرية النظام القطري العربي. وهذه النتائج ادّت، بدورها، الى فتح الطريق واسعاً لممارسة الولايات المتحدة الاميركية دوراً فاعلاً في دفع الاطراف المتنازعة نحو التفاوض.

سنحاول، هنا، شرح ملابسات، وأبعاد، عملية التفاوض، وتحليل عناصرها الرئيسة، وتحديد امكانات نجاحها. ومن خلال ذلك، سنحاول، أيضاً، تحديد أهمّ الاهداف الاميركية، وأبرز المتغيّرات الدولية وموقع العرب، اجمالاً، من هذه المتغيّرات.

تعزيز الموقع الاميركي

شهد العامان ١٩٩٠ و١٩٩١ حدوث العديد من التطوّرات الدولية ذات الآثار البعيدة على مستقبل موازين القوى العالمية وطبيعة العلاقات بين الدول، خاصة الدول الغنية والدول الفقيرة. ومن أبرز تلك التطوّرات، انتهاء الحرب الباردة بزوال المعسكر الاشتراكي وانهيار الاتحاد السوفياتي، وتراجع حادّ في أهمية العقائدية السياسية ـ الاجتماعية كأساس للعلاقات الدولية، واندلاع حرب الخليج بآثارها المدمّرة على المنطقة العربية، وتكاتف تلك المتغيّرات، معاً، لتعزيز دور الولايات المتحدة الاميركية على الساحة الدولية، وبالتالي بدء مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات الدولية.